

اعداد م.حسين محمد علي حسين

جامعة ديالى

كلية الفنون الجميلة

قسم التربية الفنية

المرحلة الثالثة

مادة اخراج مسرح مدرسي

العام الدراسي 2018-2019

عنوان المحاضرة

(نظرة تاريخية على بدايات المسرح المدرسي العراقي)

ان تاريخ المسرح المدرسي في العراق حافل بالتجارب والدروس والعبر التي يمكن اغفالها حيث يعود تاريخ المسرح المدرسي الى نهايات القرن التاسع عشر عندما كانت اكثر المدارس آنذاك تقدم عروضاً مسرحية للجمهور يشارك فيها المعلمون والتلاميذ . ويعتقد المؤرخون الذين بحثوا في النشاط التمثيلي الى ان بدايات المسرح العراقي الحديث كان مسرحاً مدرسياً في جذورها وقد افرز المسرح المدرسي كتاباً ونقاداً على مستوى الكتابة والتنظير في الدراما الى جانب ما قدمه في مراحل متعددة من فنانيين وممثلين ومخرجين وعاملين في مجال الاحتراف المسرحي ، كما استطاع تسليط الضوء على طبيعة ومضمون المسرحية العراقية وأسلوب كتابتها في المراحل الأولى لنشوء المسرح المعاصر في العراق وحدد لنا اهداف المسرح وضرورته رابطاً إياه بالعملية التربوية من جهة وعلاقته بحياة المجتمع من جهة أخرى . ان تاريخ المسرح المدرسي في العراق قدم لنا نماذج عديدة لأسلوب التعامل مع النص الأجنبي والمحلي وكذلك كيفية التعامل مع التراث العربي والإنساني بأشكال مختلفة .

كما اكد منذ البداية الهوية الوطنية والقومية والتربوية والاجتماعية للمسرح العراقي باعتباره وسيلة للتوعية الاجتماعية والسياسية إضافة الى انه وسيلة لتطوير دائرة ثقافة التلميذ والمواطن للتأريخ والحضارة الى جانب كونه أداة للحفاظ على اللغة واشاعتها ونطقها وأكدت جميع تلك الوسائل على قومية الثقافة في مراحل الاحتلال العثماني والإنكليزي . وهذا لا يعني ان المسرح

المدرسي لم يكن وسيلة من وسائل الترفيه والامتناع للعاملين والمشاهدين وحسب . بل حقق من ذات الوقت مردودات عالية استفيد منها في المشاريع والجمعيات الخيرية في بناء وتوسيع المشاريع . كما ساعد عبر تأريخه الطويل على تكوين شخصيات الذين عملوا فيه واصبحوا فيما بعد علامات مهمة في المجالات الوطنية والثقافية والسياسية في تأريخ العراق الحديث وهذا يؤكد قدرة المسرح على بناء شخصية الفرد لتعي حركة المجتمع وتدرج سبل التكيف مع الواقع والحياة . ويمكن القول بثقة كبيرة ان المسرح المدرسي كان النواة الأولى التي منحت المحور المسرح المعاصر كوادر مهمة نقلته الى مستويات عالية للتطور والجودة واقرب مثال على ذلك رواد المسرح العراقي و الفنانين الذين ظهرت مواهبهم وقدراتهم خلال الممارسات الفنية الأولى داخل المدرسة والتي يشيرون باستمرار الى فضلها في توجيهه اللاحق . لقد استطاع المسرح المدرسي العراقي استلها من التاريخ والتراث العربي وتجسيده كسيد ومواقف واحداث ودلالات ومواضيع بهدف تقريبا الى ذهن الناشئة ووعيهم ليستطيعوا فهم هذا التاريخ الذي تفصلهم عنه قرون عديدة وذلك للاستفادة من معانيه وافكاره الكبيرة في حياتهم اليومية من اجل تعميق الوعي القومي وتحليل ماضي الانسان العراقي للاهتمام به في حاضره واستشراف المستقبل على ضوءه لتأكيد أهمية شخصية العربية والعراقية ، وترسيخ الثقة بالنفس والمستقبل وبحتمية الانتصار على التخلف والاستعمار بكل اشكاله القديمة والجديدة . ويساهم إضافة الى ذلك العملية التربوية وتعميق المفردات الدراسية لدى التلاميذ بشكل افضل . ومن تقاليد المسرح الحفاظ على اللغة العربية كوسيلة للتعبير في المسرح والتعريف بأدابها وادبائها . حتى ان المسرح واللغة العربية انضويا تحت لجنة واحدة في المدارس مثل لجنة الخطابة والتمثيل اولجنة اللغة العربية والمسرح . ومن اهم ما أضطلع به المسرح المدرسي بجدارة اثناء الأحتلال العثماني هو صياغة اللغة العربية من التشويه والحفاظ على سلامتها وصفاتها مما اكد أهمية وحضور هذا المسرح ومكانته في المجتمع . ومن نشاطاته تعميق فعالية المدرسة في الحياة الاجتماعية من خلال تقديم العروض المسرحية للمشاهدين وذوي الطلبة والمشرفين فقد حرصت الكثير من المدارس على تأكيد حضورها في المناسبات الوطنية والدينية والاجتماعية كبداية السنة الدراسية ونهايتها .من خلال عروض توظيف تجسيد هذه المناسبات وتأكيد أهميتها .واهتم المسرح المدرسي بعرض مواضيع تتعلق بحياة الطالب وعلاقته مع العائلة والمجتمع والمدرسة إضافة الى مواضيع توضح اهداف التعلم واهمية المعلم ومكانته في الحياة الى جانب التأكيد على النموذج المتميز للطالب والسلوك القويم الذي يوصله العرض المسرحي عن طريق الصراع والإرشاد والتجربة بحيث نجد ان

هذه المسرحيات كانت تساعد ذوي الطلبة على تفهم أبنائهم وأدراك رغباتهم وتساعدهم في الوقت نفسه على ممارسة النقد الذاتي لسلوكهم وتصرفاتهم الخاطئة في تربية أبنائهم التي تتعرض لها المسرحيات موضحة كيفية كونها سببا في فشل التلاميذ. ورغم ان مواضيع المسرحيات التي اشرفنا اليها كانت أخلاقية تربيوألا ان بعضها كان مثاليا في طرحه واحادي الجانب في عروض النموذج الا ان هذه المسرحيات لم تتطور لتواكب التقدم الاجتماعي بل كانت تتفاوت في نضجها ومعالجتها حسب ادراك المعلم الذي الفها. وهذا يعني انها لم تكن مرتكزة على خط منهجي بقدر ما هي خاضعة وموظفة للمعانة النفسية والاجتماعية والمهنية في حبه اليومية. وهناك رغم ذلك مسرحيات أخرى كانت نواة صالحة لرسم منهم ومسار واضح لهذا المسرح. ومنها تلك المسرحيات التي هيأت التلميذ لان يكون مخلصا وموطنا صالحا والتي تتحدث وتسلط الضوء على خدمة العلم. والتي تناولت العمل الجاد واختيار المهنية والتفكير بالمستقبل. ان كل هذه القيم والتقاليد والأهداف كانت بدرا لان يحتل المسرح المدرسي مكانه متميزة ولها أهميتها في دوائر التربية حيث أقيمت له دائرة مهتمة بالنشاط المسرحي في المدارس التي تعتمد على كادر مؤهل لقيادة هذه العملية وخطط وبرامج استوجبت إدارية تشمل المحافظات ولأقضية وحتى القرى تعرف باسم دائرة النشاط الفني التي تشرف على الكادر الفني الذي يقود عملية الاشراف المسرحي الى جانب تهيئة النصوص والقاعات كما تشرف على المهرجانات المدرسية منها والقطرية والتي صارت تقليدا متميزا يحظى برعاية واهتمام جميع العاملين في المسرح على اختلاف مستوياتهم. وتحدد ظهور النشاط المسرحي في العراق الحديث خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر ولم يتفق الباحثون والموثقون حتى الان على تاريخه يوم شهر-سنة (لبداية هذا النشاط ومن كان أول رائد له. الا ان الإشارات قد كثرت الى ما كان يعرض ويكتب خلال سنوات التأسيس التي تمتد الى عام 1921. اذا انفصل العراق عن الإمبراطورية العثمانية وكون دولته الجديدة التي تولت تشريع القوانين ولأنظمة والتعليمات التي حاولت تنظيم المجتمع وكان الحياة المسرحية نصيب في ذلك فقد اصدر اول قانون للجمعيات عام 1922 الذي اجيزت بموجبه الفرق التمثيلية والجمعيات الفنية. غير ان هناك اتفاقا على ان مدينة الموصل في محافظة نينوى فقد شهدت بدايات النشاط المسرحي في العراق وفيها طبع اول كتاب مسرحي عام 1893 احتوى مسرحية لطيف وخوشابا (التي تولى) نعوم فتح الله سحار (ترجمة نصها عن اللغة الفرنسية واسقاط موضوعها على واقع المجتمع العراقي وصيغ حوارها بلغه دارجة وان ماحققه) نعوم فتح الله سحار (1855-

(1900) (نضجا في وعيه بأهمية المسرح كرسالة اجتماعية وشكلا فنيا جميلا وفي ذلك دلالة أخرى تتمثل في وجود نشاط مسرحي جار ، له إنجازات تحفقت في زمن مضى لا يقل امده عن اكثر من السنين البسيطة ومن ذلك النشاط الذي سبق لطيف و خوشابا ، وان الخوري هرمرز نورسو الكلداني المارديني قد كتب مسرحية تاريخية عن نبوخذ نصر التي قدمها عام 1888م على مسرح المدرسة الاكليريكية في مدينة الموصل ومن قبلها كانت هناك تمثيلات دينية تعرض داخل الاديرة مثل (ادم وحواء) و (يوسف الحسن) وهناك عروض كثيرة قدمت في نينوى وبغداد خلال العقدين الاولين من القرن العشرين كانت تقدم من قبل المدارس يتولى المعلمون إخراجها ويقوم الطلاب بتمثيلها وفي اطار هذه المدة شاهد الجمهور عروض ولغات عربية وفرنسية وانكليزية . ومن اقدم المدارس التي اشتهرت بنشاطها المدرسي في الموصل محافظة نينوى هي مدرسة القاصد الرسولي والمدرسة الاكليريكية للأباء الدومينيكيين ومدرسة شمعون الصفا ، وفي بغداد أيضا وجدت بعض المدارس تابعة للمؤسسات الدينية المسحية خاصة كانت تمارس النشاطات المسرحية التي كانت تشرف عليها لجان تضم الهواة من الطلبة ومعلميهم مثل مدرسة الصنائع ومن تلك العروض نشير الى اربع مسرحيات هي :-

- وفاء العرب (ومثلها في بغداد مدرسة الكلدان في النصف الثاني من تشرين الأول عام 1920م وهي من تأليف أنطوان جميل .
- وفود النعمان على كسرى انوشروان (وقد عرضت عام 1920م وخصص ريعها لمنفعة الثوار) .
- فتح الاندلس على يد طارق بن زياد (وهي المسرحيات التي قدمت عام 1920م وقد خصص ريعها لمنفعة ثورة العشرين .
- صلاح الدين الايوبي (وهي اول مسرحية تعرض على مسرح المدرسة الإسلامية في الموصل وقد اخرجها ارشد افندي العمري مهندس البلدية عام 1921م .

المسرحيات التي ألفها القسس في الموصل وبغداد ، ويرجع اهتمام قسم من معلمي المدارس بنشاط المسرحي في المدارس نتيجة لدراساتهم في الغرب وعلى نحو خاص في ايطاليا وفرنسا وكذلك تركيا ونتيجة للعلاقات الثقافية والاجتماعية التي كانت قائمة بين العراق وبلاد الشام في ذلك الوقت لان اهل العراق قد عرفوا الغرب وثقافته علما ومسرحا خاص بقراءة ما نقله إخوانهم السوريين والمصريون فضلا عن ما كان يقرأ بعضهم باللغة التركية مترجمة عن الغرب وكانت المصادر التركية

من اهم المصادر نتيجة الارتباط العراق بالدول العثمانية واتقان المثقفين باللغة التركية لان التركية كانت لغة المدارس آنذاك ولغة الصحافة ولغة الدواوين الدول وكانت عدد من العراقيين يدرسون في إسطنبول ان المسرح المدرسي في العراق قدم لنا نماذج عديدة لأسلوب التعامل مع التراث العربي والإنساني بأشكال مختلفة كما أكد منذ البداية الهوية الوطنية والقومية والتربوية والاجتماعية للمسرح العراقي لأنه وسيلة للتوعية الاجتماعية والسياسية كما انه وسيلة لتطوير دائرة ثقافة التلميذ والمواطن بالتاريخ والحضارة الى جانب كونه اداءه الحفاظ على اللغة واشاعتها ونطقها وأكدت جميع تلك الوسائل قومية الثقافة في مراحل الاحتلال العثماني والإنكليزي وتجدر الإشارة الى ان اغزر المؤلفين في ذلك الوقت هو حنا رسام الذي الف عشرات المسرحيات في مدارس الموصل وقد اعتمد كتاب المسرحية التعليمية المدرسية في العراق على موضوعاتهم من التاريخ والقصص الشعبية والكتاب المقدس ركز بعضهم احداث البطولة العربية كما فعل جرجس قندلا وسليم حسون وعفا راسم وحنا رحماني . وسيمكننا ان نقول وثيقة عالية جدا ان المسرح المدرسي كان هو الثورة الأولى التي منحت حركة المسرح كوادر مهمة نقلته الى مستويات عالية في التطور والجودة وذلك يؤكد من جديد ان التمثيل يساعد في مجال التطور اللاحق للإبداع الفني للإنسان اذ يكون مقتدرا على التجسيد الفني نفسه واقرب مثال لنا رواد المسرح العراقي وفنانوه الكبار الذين ظهرت مواهبهم وقدراتهم خلال الممارسات الفنية الأولى داخل المدرسة ، فهم يشيرون بإستمرار الى افضل هذه البدايات في توجههم اللاحق . ولم يقتصر النشاط المدرسي على معلمي مدارس الموصل فقط اذ سرعان ما انتقل النشاط الى بغداد خلال السنوات الأولى من القرن العشرين ، وكان طلاب مدرسة الكلدان ومدرسوها في بغداد مركز النشاط الفني المسرحي الجديد ، ولعل اشهر اعمالهم المسرحية هي سلستر او الوطن عام 1918م ومسرحية شهيد الدستور مدحت باشا لمؤلفها نامق كمال والتي قدمت مدرسة السريان الكاثوليك في نفس العام . وبعد ان تأسس الحكم الوطني في العراق بداية العشرينات نشط المسرح المدرسي وتوسعت حركته وقد ظهرت حركة تمثيلية أولا في المدارس ثم امتدت الى خارجها وكانت الحركة هذه المرة قد تجاوزت نطاق المدارس في بغداد كما حدث في الموصل وراحت تحظى باهتمام الأوساط المثقفة واستمر الاهتمام الكبير بالانشطة المسرحية في كثير من المدارس فقد تشكلت في عام 1926م مدرسة دار المعلمين فرقة تمثيلية مسرحية أخرى ترأسها الصحفيين الفكاهيين نوري ثابت صاحب جريدة (حبزوز) وقد قدمت الفرقة عدة

حفلات على مسرح الثانوية المركزية في بغداد وكان من تبرز نتائجها مسرحية هزلية بعنوان (الصراف أبو روبين) وهذا لا يعني ان المسرح المدرسي لم يكن وسيلة من وسائل الترفيه والامتع للعاملين والمشاهدين اذا حقق في ذات الوقت جمع مبالغ كبيرة استفيد منها في المشاريع والجمعيات الخيرية من بناء وتوسيع او مساعدة المعوزين والقاصرين او تطوير مشاريع ثقافية وسياسية واسنادها كما ساعد المسرح المدرسي عبر تأريخه الطويل على تكوين وتطوير الشخصيات الذين عملوا فيه واصبحوا فيما بعد علامات مهمة في المجالات الوطنية والثقافية والسياسية في تاريخ العراق وهذا يؤكد ان المسرح قادر على بناء شخصية الفرد وصلها لتعي حركة المجتمع وتدرك سبل التكيف مع واقع الحياة . وتعد الثلاثينيات مرحلة جديدة وبارزة في تأريخ الحركة المسرحية في العراق اذ كانت هذه المرحلة اكثر ثباتا من سابقتها القلقة الخائفة ووسعها قدرة على مواجهة المصاعب واخصبها انتاجا فقد شيدت بنايات جديدة للمدارس تضمنت قاعات واسعة استغلت لعرض المسرحيات ، ثم ان بعض المستلزمات التي كانت مفقودة في المرحلة السابقة قد توفرت وثمة خطوة مهمة خطاها الكتاب العراقيون حينما ادركوا القيمة الكامنة في العمل المسرحي واسهامهم في التأليف المسرحي . فضلا عن تأسيس فرع التمثيل في معهد الفنون الجميلة عام 1936م على يد حقي الشبلي بعد عودته من الدراسة في فرنسا ، وتنوعت النشاطات المدرسية في المدارس التي كثرت في الحقبة الزمنية . واستمر نشاط المسرح المدرسي بالتواصل والاستمرار والانتشار الى محافظات العراق الأخرى وكثرت الفرق الفنية ومن ابرز المؤلفين المسرحيين في الاربعينيات هو شهاب القصب الذي عرف بولعه الشديد بالتمثيل وهوايته المخصصة للتأليف المسرحي ، فقد اشترك في المسرحيات الشعبية التي كانت تقدم على مسارح المدارس التي درس فيها كالعربية المتوسطة والاعدادية المركزية ودار المعلمين الابتدائية كما ان القصب الف عددا من المسرحيات التي تعد من خيرة المسرحيات العراقية في ذلك الوقت ، ومنها (المعذبون في البيت) و (عودة الولد المهذب) و (كارت البيك) و (قيس وليلى) في القرن العشرين و (مشكلة زواج) والأخيرة اخرجها القصب بنفسه عام 1945م في الإعدادية المركزية . واستمر المسرح المدرسي بتدفقه وواصل نشاطه واستمرت المدارس الخاصة بتقديم الاعمال المسرحية ، ولكن هذه الاعمال لم تخرج عن حيز المسرح المدرسي وبقيت محبوسة داخل جدران المدارس . وفي عام 1953م جرى تحول كبير في تأريخ المسرح المدرسي ، فقد بادر لأول مرة الفنان عبد القادر رحيم بإخراج

المسرحية المدرسية من حدود المدرسة الى القاعة الكبيرة في مسرحية (عاقبة الطمع) التي عرضت على قاعة الشعب آنذاك . وعند مطلع الستينيات خرج المسرح من نطاق اشراف اشراف معلم اللغة العربية ورعاية المدرسة الى رعاية مديرية خاصة بهذا المجال تدعى (مديرية النشاط المدرسي) تقوم بالاهتمام بالنشاطات المدرسية وقامت هذه المديرية بجلب كوادر متخصصة للإشراف على هذه النشاطات وكانت على رأسها في تلك الحقبة اسعد عبد الرزاق ومرسل الزيدي ووجيه عبد الغني وطه سالم وحمودي الحارثي وغيرهم .